معجم اللسان الضادي

أمنية تتحقق

لابراهيم ابراهيم يوسف

من أوابد ما تكلم به الأقدمون : « الإنسان حيوان ناطق » . ومعنى ناطق إذا قصرناه على المعنى اللغوي الصرف ، منكتم بصوت وحروف تُعرف بها المعاني ، كما يقول الفيروز ابادي. ولو شئنا تفسير تلك الأبدة وانتظر فيها ترى اليه من معنى فقلنا : إن المقياس الصادق لإنسانية كل فرد هو قدر معرفته للغته ، كما أن مبلغ حبه بها يتساوى بمقدار حبوابيته . وإذا فحب اللغة متأصل في النفوس ما لم تكن مريضة . ونحن نعلم أن كان للعرب قوة ولا تزال مع ما بهم من مرض . ومن لزوميات القوة الحب . وقد أحب العرب لغتهم حبًا جمًا . ويفسر أبو منصور الثعالبي حب اللغة بقوله : « من أحب العربية عُني بها وثابر عليها وصرف همته اليها » (١) . وها نحن أولاء نرى من تزاحم عشاق اللغة في الأزمنة السالفة — الأمر الذي نفتقط به أيّ افتقاط — لجعل أبو منصور الثعالبي يحمد الله أن « تيقض لعربية حفظة وخزنة من خواص الناس وأعيان الفضل وأعلم الأرض فنسوا في خدمتها الشهوات وجابوا الفلوات وتادموا لاقتنائها الدفاتر وسامروا الدفاتر والمحابر وكدّوا في حصر لغتها طباعهم وأسهروا في تقييد شواردها أجفانهم وأجالوا في نظم قلائدها أفكارهم وأنفقوا في تخليد كتبها أعمارهم » (٢)

وبفضل علم هؤلاء الأفذاذ وبركة جهودهم المثمرة — وقد أستبان لنا ذلك اليوم بعد أن ثبّته الفحص واستقرّ عليه الرأي — « لا توجد شعب أخرى ، إذا استثنينا الصين ، يحق له الفخار بوفرة كتب علوم لغته وبشعوره المبكر بحاجته الى تنسيق مفرداتها بحسب أصول وقواعد غير العرب » (٣)

---

(١) و (٢) من كتابه فقه اللغة وسر العربية ، طبع المدارس الكلية بالقاهرة

(٣) من مقدمة الاستاذ الدكتور أ . ليتمر في معجمه اللغوي التاريخي ، وهو بدون الفتح

وإذا كان الأمر كذلك فلأبناء العروبة عذر أن يعتقدوا اعتقاداً راسخاً أن « العربية خير اللغات والألسن » . ثم ليس عليهم من حرج حين يتفاخرون بذلك في عصور أتيحت من أعلام اللغويين أئمة عنوا بتصنيف المعاجم وكتب مفردات اللغة أمثال الخليل بن أحمد (المتوفى سنة ١٧٥ هـ) وأبي عمرو الشيباني (المتوفى سنة ٢٠٥ هـ) وأبي عبيد (المتوفى سنة ٢٢٣ هـ) وابن دريد (المتوفى سنة ٣٢١ هـ) والفارابي (المتوفى ٣٥٠ هـ) والقالي (المتوفى سنة ٣٥٦ هـ) والأزهري (المتوفى سنة ٣٧٠ هـ) والصاحب بن عباد (المتوفى سنة ٣٨٥ هـ) وابن فارس (المتوفى ٣٩٥ هـ) والجوهري (المتوفى سنة ٣٩٧ هـ) والخوارزمي (المتوفى سنة ٤٠١ هـ) وابن الدهان (المتوفى سنة ٤٣٦ هـ) وابن سيده (المتوفى سنة ٤٥٨ هـ) والزمخشري (المتوفى سنة ٥٣٨ هـ) والمطرزي (المتوفى سنة ٦١٠ هـ) والصغاني (المتوفى سنة ٦٥٠ هـ) وابن منظور (المتوفى سنة ٧١١ هـ) والفيومي (المتوفى سنة ٧٧٠ هـ) والفيروزابادي (المتوفى سنة ٨١٦ هـ) رضوان الله عليهم جميعاً [٤] . ولكن سرعان ما انقلبت العربية من يد هؤلاء الأعلام سنون عجاف عدن حتى اليوم ثلاث وأربعين وخمسمائة سنة . وحين نستعرض الماضي ونفد الحاضر نرى أمامنا بينهما مدى تلك الحقبة المديدة من الدهر عن إرث أو بعض إرث أجدادنا في لغتهم وآدابهم . وما إن انقضت تلك السنون النحس حتى أتحنا رجعة من هول ما حالت أحوال ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخرى [٥] ، وغض الدخيل الأصيل أو كاد ، وحرم غير الفصيح الفصيح إلا قليلا . فنفلت الألسن إلا ما عصم ربك وتجهم أقوام للعربية سراً وعلانية ، بل وثم في الناس من سرت له نفسه بدعوى أن العربية لغة دخيلة على البلاد لا يعرف أهلها من الألسن وغيرها .

***

هذا ما آلت إليه اللغة وشر دعوى عرضها القضاء لدولي من الدول العربية من مشرقها إلى مغربها تمحض صدقاً لا كذباً عن نبعة صادقة . وقد قلنا إن لا يوم سعة لكرامة ما لنا

---

(٤) كان في الوسع أن نقرر هؤلاء الجهابذة بأمثالهم من علماء اللغة أمثال يعقوب والجعدي وابن حنيفة والفراء والاصمعي وابي زيد وابي حاتم والمبرد وثعلب والنضر والمفضل وابن الاعرابي والجواليقي وابن قتيبة وابي بكر الانباري وابي علي القالي وابن سعيد الغرناطي وابي الفتح بن جني وابي الحسن علي الرماني وابي بكر محمد السري وغيرهم . ولكن رجأنا ذلك الى بحث خاص يتناول اشهر اللغويين وآثارهم . وقد ضربنا صفحاً عن الزبيدي لقد ابن جل تاج عروسه يرتمة الى لسان العرب لابن منظور والمحكم

(٥) من كتاب الصاحب لابن فارس

بإنهاض اللغة ، وأننا ما زلنا بعيدين عن أن نوصف نفوسنا بخصب إيمانها ، إيماناً صحيحاً بأن لا نوام نعلم او دين بغير لغة. وعندما ترسخ هذه العقيدة ويثبت هذا الايمان نكون قد خطونا خطوة أبجدية في إنهاض العربية

***

أما خطوتنا الثانية فلن نوفق فيها توفيقاً يكمل لنا إنهاض العربية على وجه مرضٍ مالم نجنّد جلّ علماء اللغة من عرب ومستعربين ومستشرقين ، كما نجنّد أعيان المادّيين والمتفنّنين في مختلف العلوم والفنون عرباً كانوا او مستعربين ، ليعملوا جميعاً متآزرين في فرقتين أساسيتين لها هدف واحد هو وضع معجم للغة العربية الفصحى ملائماً للتطور العلمي في العصر الحاضر ، وهنا ينشأ السؤال : كيف يكون هذا المعجم ؟ « الجواب : يجب ان يشتمل المعجم على كل كلمة بلا استثناء وجدت في اللغة .... وان يوضح هذا المعجم التطوّر التاريخي لمعنى الكلمة ... ، وان يبحث في اصل الكلمة ونسبتها ... ، وان يورد تعريف الافعال والأسماء وغيرها ... ، ولن يحقق معنى الكلمة ايٌ معانيها ويرتّب هذه المعاني على حسب علاقتها التاريخية والعقلية ... ، وأن يوضح جميع الصلات اللغوية التي ترتبط كلمة بأخرى ... ، وان يبيّن علاقات الكلمة التي استعمر منها أم لازمة لها دائماً ... ، وان يحدد المحيط اللغوي الذي تستعمل فيه الكلمة او التعبير او التركيب استعمالاً عاماً او خاصاً ... » (٦) ومعنى ذلك « ان تعرض الكلمة على حسب وجهات النظر السبع الثانية : التاريخية والاشتقاقية والتصريفية والتعبيرية والنحوية والبيانية والأسلوبية » (٧) وتشاور الدول يجب ان يكون غرض الفرقتين المشار اليهما الاشتراك في وضع معجم لغوي تاريخي . وتصرف الفرقة الأولى منهما همّتها الى تصحيح وتنقيح جميع ما سيتناوله بحث الفرقة الثانية من كتب وإعادة طبعها طبعات علمية متقنة . كذلك تطبع أهم المخطوطات بعد دراستها دراسة وافية — ولنا في ذلك بعض آثار المستشرقين أسوة حسنة . وللأعضاء هذه الفرقة حق [illegible]

***

أما الفرقة الثانية فيحسن أن تؤلف من شعبتين ، كلّ شعبة مستقلة في عملها عن الأخرى وتتكوّن الأولى منها ممن تفقه في علوم اللغة ، ودرس العربية الفصحى لعصرها الذهبي — ويمتدّ من أيام الجاهلية الأولى وينتهي بنهاية القرن الثالث الهجري — ، وحذق اللغات السامية الأخرى ، وكذا الفارسية والتركية واليونانية واللاطينية واللغات الأوربية الواسعة الانتشار. وتصرف همة هؤلاء جميعاً الى شد أزر العلامة الدكتور أ . فيشر في تصنيف معجمه

(٦) و(٧) من مقدمة الاستاذ الدكتور أ . فيشر في معجمه اللغوي التاريخي ، وهو دون المطبع

اللغوي التاريخي . وكان مجمع فؤاد الأول للغة العربية قد وضع له أسباب العمل منذ شتاء سنة ١٩٣٧ م . ومتى سارت هذه الهمة في عملها فسوف يتسنى للدكتور أ . فيشر ، متى عاد الينا في المجمع إن شاء الله ، ان ينتج أضعاف أضعاف ما انتج ، ويتم لنا معجمه الفريد في زمن أقل مما قدر له . ولعل المبادرة بطبع القسم الأول من هذا المعجم واظهاره للناس أشحذ لهم اللغويين والمتأدبين وأدعى لتطوعهم بالمساعدة في هذا العمل الجليل ، خصوصا اذا وقفوا على أسلوبه العلمي الحديث الذي اتجه في تأليف هذا المعجم . وهو ، على عكس ما تصوره البعض ليس سرا من الأسرار . « فالمعجم يتناول بقدر الامكان بحث تاريخ كل كلمة التي جاءت في الآداب العربية مبتدأ بالكتابة المنقوشة المعروفة مكتوبة بالحروف العربية الشمالي وينتهي بنهاية القرن الثالث الهجري أي منتهى ما وصلت اليه اللغة العربية من الكمال . أعني أنه يتناول الكلمات الموجودة في القرآن والحديث والشعر والأمثال والمؤلفات التاريخية والجغرافية وكتب الأدب والكتابات المنقوشة والمخطوطات غير المطبوعة . وقد بُني المعجم على المتون التي طبعت بهذا . ويتبيَّن من بيان وجيهها ومتى الكلمة . مكتوبة من اجلة »[٨] كذلك يجب ان لا يقرب عن بال هذا . ويوضح هذا ما جاء في تقرير لجنة المعجم اللغوي التاريخي . ومن هذا وذاك يتضح لنا الى حد كبير أسلوب العمل . بيد أن هذا لا يمنع من تحديد أسلوب العمل في معجم فيشر ولا يسأله . كذلك يسر هذا بعض الصعوبات التي تكتنف طبيعة العمل ودقائقه . وقد أردت ذكر بعض هذه الصعوبات التي تقف المعجم ، حتى لا يشعر الاذهان أن هذا العمل يسير ، ولكن في مقدور اليد الحصول على تلك المادة اللغوية من اللغة المكتوبة . فقد عمد الى الأوائل من عاشوا حتى نهاية القرن الثالث الهجري »[٩] . ثم ما هي هذه المواد كما تصفحنا المعجم العربية الكبيرة) ، و (٢) (إن الكثير من كتب الأدب والدواوين الشعرية حديثة ، وأكثر منها للمتقدمين على الأحسن به الاطلاع على أصل الحكم أو ان الصحيح وتحريف كذلك الشأن في المعاجم الشهيرة التي اعتمد عليها المستشرقون في ذكر ما تحتوي من أغلاط »[١٠] (وقد وضعت طائفة من العلماء رسالات في بيان هذه الاغلاط والتنبيه عليها وتصحيحها) ، و (٣) (أن اللغويين المتقدمين قد تشاجرت آراؤهم في الحكم على ما هو الفصيح من الكلام »[١١] (وقد وردت آراؤهم هذه في مختلف الكتب التي وصلت

(٨) و (٩) و (١٠) و (١١) من مقدمة الاستاذ الدكتور أ . فيشر في معجمه اللغوي التاريخي ، وهو رهن الطبع

الينا عنهم) وهذه الصعوبات كما نراها — وهي بعض من كل — كفيلة بأن تعوق العمل في المعجم الى حد يقارب اليأس من التقدم فيه، ورغم هذا كله فقد قطع الاستاذ الدكتور أ. فيشر شوطاً كبيراً في عمله لاخراج معجمه كما ينبغي على خير ما يرام. ومما يزيد في قدر هذا المعجم أن وضع لكل كلمة ميثاقاً انكليزي والفرنسي .

***

أما الخطة الثانية فيجب أن تشكل على غرار الخطة الأولى لتقوم بوضع معجم تاريخي كبير للغة العربية في جميع عصورها . وهو ما نرضه المرسوم الملكي على مجمع فؤاد الأول للغة العربية كغرض من أغراض انشائه . ولا شك أن هذه الخطة ستنهج ان شاء الله نفس الأسلوب العلمي الحديث الذي جرى عليه الأستاذ الدكتور أ. فيشر في معجمه. ولا شك انه عمل خطير . ولكن ما كان تأليف معجم لغوي تاريخي بالأمر الهين ، بل لي أن أقول بأنه من أشق الأعمال وأضناها وأثقلها جهداً وبركة . وقد عرف ذلك الاقدمون . ويقول في ذلك الافريقي « ان الكتب المفصلة الموسوعة نقمة على أصحابها » . ولذلك تحمى علماء اللغة جيلاً بعد جيل مع أن يؤلفوا معجماً يلائم روح العصر الذي عاشوا فيه . ولما كانت للمعاجم التاريخية — وهي واحق معاجم قومية — تستنفد السنين الطوال والجهود الجبارة في وضعها فقد استعان كل من الانكليز والفرنسيين والألمان والطليان بثلاث من العلماء المتفوقين في وضع معاجمهم القومية. وتكفي هنا الاشارة الى معجم اكسفورد للغة الانكليزية الذي بدىء به في سنة ١٨٥٧ وقضى في طبعه من سنة ١٨٨٤ الى سنة ١٩٢٤ وقد تعاون في وضعه ثلاث من العلماء يؤيدهم جيش من المتطوعين مئات ومئات . واذا كان هذا حال الغربيين فالأجدر بأبناء العروبة ، وقد ترعرع فيهم الكرم والنخوة وحب اللغة ، ان يبادروا بالتطوع في أعمال معجمنا القومي ليساهموا بقسط يليق بالنبعة التي نرتجيها ويرتجيها كل منا

***

ولي أخيراً ان أعتبر أبناء هذا الخيل سعداء وأي سعداء ، اذ سيكون لهم شرف الانتساب الى عصر جدَّ فيه الجد لاتمام المعجم اللغوي التاريخي للدكتور أ. فيشر وابتدء بوضع تصميم العمل في المعجم اللغوي التاريخي الكبير والشروع في تأليفه . ومتى بلغنا النهاية من هذين المعجمين نكون قد علمنا من أمر لغتنا ما نحتاج الى علمه في زماننا . والله الميسر والمعين